أفلا يعد معجزة فى الإسلام أن يضاهى عصر المأمون فى بغداد عصر بركليس فى أثينة ، وعصر الناصر فى الأندلس عصر أغسطس فى رومية ؟ ونحن الذين كنا بالأمس نرعى الإبل والشاء ونأكل الضباب والعظاة

انظر إلى ما يقوله فينا « غوستاف لوبون » فى كتابه La psychologie Politique « زعم المؤرخون أن التأثيرات العلمية والأخلاقية العجيبة التى أثرها المسلمون فى العالم كانت بفضل ماديتهم ، ولكن لا يصح اليوم أن نجهل ان هذه المؤثرات قد دامت فى مجراها حتى بعد أن أضاع المسلمون ماديتهم ونفوذهم السياسى ، فإن المسلمين فى الصين يزيدون على عشرين مليوناً ، وفى الهند على خمسين ، ولا يزال هذا العدد فى نمو ، وإن المسلمين بعد الرومان هم الأمة المدنة الوحيدة التى نجحت فى نقل تهذيبها الاجتماعى ودينها وأوضاعها وعلومها إلى العناصر المختلفة التى افتتحتها وتسربت بينها . هذه التأثيرات لا تضمحل بل على العكس تراها آخذة فى النمو ، تتعدى الحدود التى بلغتها فى أيام القوة المادية . إن القرآن وما اشتق منه هو إلى الفطرة بحيث يلتئم مع حاجات الناس الأولية ، حتى أن قبوله آخذ حكمه على مر الدهور لا يعوقه عائق ؛ وحيث ينزل المسلمون ، ولو كانوا تجاراً سذجاً ، تتدخل أوضاعهم ومعتقداتهم . وكلما توغل الرواد من أهل المدنية الحديثة فى صميم أفريقية شاهدوا قبائل تنتحل الإسلام . والمسلمون الآن يمدنون قبائل أفريقية على نحو ما يستطيعون ويجاهدون فى تلك الفارة الغريبة ، على حين يطوف الأوربيون فى الشرق فاتحين كانوا أو متجرين ولا يتركون وراءهم أثراً لنفوذ أدبى

أفبعد هذه الشهادة تطلب من الإسلام معجزة وله فى سجل التاريخ مثل هذه الصفحة الرائعة المجيدة ؟

( شرق الاردن ) خليل جمعة الطوال

## العدد ١٨٣

أعدنا طبع العدد ١٨٣ من الرسالة ، فمن لم يكن عنده من حضرات المشتركين فليتفضل بطلبه من الادارة

# أثر حروب محمد على
## فى الأدبى الألمانى والفرنسى

للأديب السودانى المبارك ابراهيم

لم يكد يتولى محمد على الكبير حكم القطر المصرى باسم الدولة العلية ، فى أوائل القرن التاسع عشر ، حتى بات يتحين الفرص لبسط ظله على الأقطار المجاورة . ففى عام ١٨١٨ م انتصر على الوهابيين فى الأراضى الحجازية . وفى عام ١٨٢١ م وحد بين شطرى وادى النيل بضم السودان لمصر ، وفى عام ١٨٣٢ م كانت بلاد الشام تدين بالطاعة والولاء لمحمد على

وعند ما توترت العلاقات بينه وبين حكومة الباب العالى سير جيوشه ليغزو تركيا ويخضعها لسلطانه ، بدلا من أن يظل هو خاضعاً لسلطانها ! ففى ديسمبر ١٨٣٢ هزمت الجيوش المصرية الجيوش التركية هزيمة منكرة ، وباتت على مسير بضعة أيام من استامبول عاصمة سلاطين آل عثمان !

لقد كان طموح محمد على إلى السيطرة والحكم لا يقف عند حد ، إذ كان يتوق إلى إنشاء امبراطورية مصرية مترامية الأطراف لا تغيب عنها الشمس !

على أن هذا التوسع الاستعمارى من جانب محمد على لم يرق الأسد البريطانى ، فوقف فى طريق محمد على يزجر غاضباً ويكشر عن أنيابه ويلوح بذيله ! وتحت ضغط الظروف القاهرة اضطرت جيوش محمد أن تنسحب من الأراضى التركية قبل أن يهاجمها هذا الليث الانجليزى الهصور ، وغيره من دول أوروبا التى لا يرضيها تقدم الحكام الشرقيين فى الميادين السياسية والحربية ، وبهذا التدخل من قبل الدول الأوروبية ، بات الرجل المريض « تركيا » فى مأمن من مداهمة محمد على له والإجهاز عليه لأن هذه الدول الأوربية كانت تطمح فى الاستيلاء على تركة الرجل المريض « الأراضى التركية » واقتسامها فيما بينها . وقد وضعت هذه الدول أيديها فعلا على معظم هذه الأملاك التركية

وفى عام ١٨٤٠ م أبرم الأسد البريطانى ، والدب الروسى ، والنسر البروسى ، اتفاقية سياسية تدعى اتفاقية لندن ،

فكان فيها القضاء المبرم على الامبراطورية المصرية التى كان يحلم بانشائها ذلك الحاكم الشرقي العصامى العظيم محمد على . إذ قسرته هذه الاتفاقية التى تآمرت فيها هـذه الدول عليه أن يتخلى عن الولايات التركية التى استولى عليها بحد السيف فى بلاد الشام وشبه جزيرة العرب

هذا ، ولما كانت فرنسا صديقة لمحمد على ، تقف إلى جانبه وتشد أزره ، فقد سلبتها هذه الاتفاقية هى أيضاً حقها فى الشاطئ الأيسر من نهر الرين ، ومنحته لألمانيا فسكرت فيه بعض كتائبها

ومن جراء هذه الاتفاقية التى أضاعت جزءاً من أملاك فرنسا تحمس الرأى السياسى العام فى باريس ، حتى أن الملك لويس فيليب نفسه صرح بأنه مضطر إلى لبس القبعة الحمراء ، وأن ينزع عن الثمر كامته . وهو يعنى بذلك المناداة بالثورة الحربية فى وجه ألمانيا

* * *

وبعد هذا التمهيد نقول : إن هذه الأزمة السياسية الدولية التى سببتها حروب محمد على قد دعت إلى صراع أدبى عنيف بين أدباء ألمانيا وفرنسا ترك أثراً حياً فى الشعر الألمانى والفرنسى

قالوا إن الشاعر الألمانى بيكر كان جالساً ذات يوم مع أصدقاء له فى إحدى الحانات ، يشرب الجعة ويطالع الصحف السياسية الواردة من فرنسا . وبعد أن رجع الشاعر إلى داره نظم وهو تحت تأثير نشوة الخمر وحماسة السياسة ، قصيدته « أنشودة الرين » فما كادت تنتشر حتى لحنت وراح يترنم بها الألمان فى غدواتهم وروحاتهم

والقصيدة هى :

لن ينالوا الرين ذلك النهر الألمانى الحر
وإن كانوا يطلبونه بنعيهم كالغربان الجشعة !
لن ينالوه مادام يترقرق ساكناً فى ثوبه الأخضر !
وما دام هناك مجداف يضرب فى مياهه !
وما دامت الصخور قائمة وسط مجراه !
وما دامت الكاتدرائيات الشاهقة تعكس خيالها فى مرآته !

---

لن ينالوا الرين ذلك النهر الألماني الحر
لن ينالوه مادام الفتيان الحديدو القلوب يغازلون الفتيات المشوقات القوام !
وما دامت هناك سمكة تسبح فى أعماقه !
وما دام على شفاه المنشدين أنشودة تردد !
لن ينالوا الرين ذلك النهر الألمانى الحر
لن ينالوه حتى تدفن عظام آخر رجل فى طيات أمواجه !

---

ولما ذاق الشاعر الألمانى بيكر حلاوة الشهرة عقب ذيوع هذه الأنشودة ، بعث بنسخة منها إلى شاعر فرنسا الكبير : لامارتين ، وكان ذلك منه على سبيل الأدب والتحدى معاً !

غير أن لامارتين كان داعية سلم ووئام ، ولم يكن فى يوم من الأيام بوقاً للحرب والخصام ؛ وكان يقول : أنا ابن الإنسانية قبل أن أكون ابن فرنسا ؛ ولتهلك أمتى إذا كان فى هلاكها حياة الإنسانية

ولهذا جاءت قصيدته فى الرد على الشاعر الألمانى تفيض بروح المحبة والسلام . وقد دعاها فعلاً : «مارسيليز السلام» ومنها :

يانهر الرين ، يانيل الغرب !
يا كأساً تستقى منها الأمم !
سر حراً متكبراً فى مجراك بين عرض شاطئيك !
واحمل فى طياتك مطامع الشعوب الساكنة المرتوية من مائك الشبم !

---

لن يدنس بعد اليوم بلور مياهك دم الفرنسى الأحمر ، ولا دم الجرمانى الأزرق ، كما أن البارود لن يقوض بعد اليوم الجسور الممتدة فوقك بين الشعبين كاليد الممتدة للمصافحة !

---

سر فى مجراك يانهر
ولا تبال إذا كان الذين تحملهم أو ترويهم هم قاطنى شاطئك الشرقى أو الغربى
وطن كل إنسان هو الإقليم الذى يمتد إليه عقله ، فانما مواطن لكل إنسان يفكر ، فالحقيقة هى بلادى !

---

النسر والثور يشربان من مياهك . فليقترب إذن الإنسان من أخيه الإنسان وليشربا من مياهك !

* * *

وعند ما نشر رد لامارتين هذا على أنشودة الشاعر الألمانى قابله الشعب الفرنسى بشىء من الفتور عظيم ، وذلك لخلوه التام من الروح الحربى والحماسة الوطنية ، حتى أن فريقاً من

انتقاداتهم لامارتين ظلماً بعدم الاخلاص للوطن في حين أن الشاعر معروف بوطنيته الصادقة ، ولكنه كان يمقت الدعاية للحرب وإراقة الدماء البريئة ، وترميل النساء ، وتيتيم الأطفال ، وتخريب المدن الجميلة العامرة

* * *

ولقد كانت الصالونات الأدبية في باريس في ذلك الأوان لا حديث لها إلا « أنشودة الرين » لبيكر ، و « مارسيليز السلام » للامارتين

وكان صالون مدام جيرارون غاصاً ذات يوم برهط من أدباء فرنسا وعلى رأسهم الشاعر الشهير : ألفرد دى موسيه ، وكان الحديث يدور رد لامارتين ، فانبرت ربة الصالون تقول :

لا مشاحة في أن قصيدة لامارتين آية في البلاغة ، ولكنني كنت أوثر رداً أكثر إيلاماً منها ، فأنا متطرفة فى الوطنية ، ولا تزال عقيدة الوطن راسخة فى ذهني . وكم كنت أود لو تصدى واحد من شعرائنا لذلك الشاعر الألماني المتحمس ، فكال له الصاع صاعين ! فقال لها ألفرد دى موسيه : وأنا على رأيك يا سيدتى . وهنا صاح به الحاضرون : عليك بالرد إذن ... عليك بالرد ، وقد أحاطوا به ملحين . ثم اقتادوه إلى حديقة الدار ، وأوصدوا باب الصالون دونه ، بعد أن زودوه بالورق والقلم ، ولفافتين من التبغ ! ولم يمض إلا وقت وجيز حتى أتوا إليه فوجدوه قد أحرق اللفافتين ، ونظم القصيدة التالية فى الرد على نشيد الرين ، وهى : —

قد نلنا الرين نهركم الألماني !

وقد وسمه جام من جاماتنا !

فهل لأنشودة يسير بها القوم هازجين أن تمحو الأثر العظيم الذي تركته حوافر جيادنا المصبوغة بنجيع دمائكم ؟ !

---

قد نلنا الرين نهركم الألماني !

فان فى أحشائه جرح يسيل دامياً من عهد مامرق « كونديه » القائد الفرنسى الظافر ثوبه الأخضر !

ولا شك فى أن الأبناء لمارون حيث من الآباء !

---

قد نلنا الرين نهركم الألماني !

أين كانت قضائلكم الجرمانية يوم كان بابليون القدير يبسط ظل سلطانه على سهولكم ؟!

وأين وقع آخر عظم من عظام رجالكم ؟!

---

قد نلنا الرين نهركم الألماني !

فإن كنتم نسيتم تاريخكم ، فإن بناتكم أكثر احتفاظاً بذكرانا منكم ، فقد صبين فى كؤوسنا نبيذكم الأبيض !

---

قد نلنا الرين نهركم الألماني !

وإذا كان الرين لكم فاغسلوا فيه ثيابكم

وإذا ما تكلمتم عنه فاخفضوا الصوت ، فكم كنتم من غربان فى اليوم العصيب حول النسر المحتضر : بابليون

---

فليتدفق نهركم الألماني بسلام

ولتنعكس صور كاتدرائياتكم القوطية فى مياهه !

ولكن احذروا ، فإن أناشيدكم الحربية قد توقظ الأموات من رقادها الدموى !

* * *

فما كاد موسيه ينتهي من إنشاد قصيدته النارية على السامعين حتى دوى المكان بالتصفيق وتعالى هتاف الاستحسان والتقريظ

وعندما تلقت القصيدة الصحف الفرنسية نشرتها فى أمكنة بارزة ، مشفوعة بالتهليل والتكبير

وقد ازداد بسببها هياج الرأى العام في فرنسا والمانيا

وكان من الضباط الألمان من أرسلوا إلى الشاعر الفرنسى دى موسيه رسائل يدعونه فيها للمبارزة !

ولكن دى موسيه أجاب : إذا لم يكن من المبارزة بد ، فهو لايبارز إلا رصيفه الشاعر الألماني بيكر . ولكن بيكر لم يلب الدعوة

* * *

ويقال إن هذا الصراع الأدبى بين شعراء فرنسا وألمانيا فى عام ١٨٤٠ م كان من ضمن الشرر الذى أشعل نار الحرب بين الشعبين بعد مضى ثلاثين سنة ، عام ١٨٧٠ م ، وهى الحرب المعروفة فى تاريخ أوروبا بحرب السبعين

أم درمان سودان

المبارك ابراهيم